(القومي) او (في الكفاح من اجل الاستقلال الوطني) . بينما نحن بنو اسرائيل وارثو اكثر الاراضي قدسية وروعة نبقى صامتين ودون حراك»

٥ ــ تمت ترجمة هذا النص من كلام موسى هس على النحو التالي :

"With the Jews, more than with other nations, which though oppressed, yet live on their own soil, all political and social progress must necessarily be preceded by national independence. A common native soil is a precondition for introducing healthier relations between capital and labor among the Jews." (ص ١٣٦)

« يتوجب على الاستقلال القومي ان يسبق التقدم السياسي الاجتماعي وخاصة لليهود اكثر منه لاية امة اخرى عاشت ولو محكومة ، ولكن ، ان وجود ارض وطن مشتركة هو شرط أساسي لادخال علاقة صحيحة بين رأس المال والعمل عند اليهود » . (ص ٤٠) .

نلاحظ اولا ان ترجمة oppressed « بمحكومة » خطأ كبير لانها تعني مضطهدة (بفتح الهاء) وليس مجرد محكومة . ثانيا ، النص العربي ركيك جدا وغير واضح بالاضافة الى كونه غير دقيق في التعبير عن المعنى الاصلي. وفيما يلي نموذج لما اعتقد انه ترجمة اكثر دقة ووضوحا للنص الانكليزي الذي نحن بصدده : « بالضرورة ، ينبغي ان يسبق الاستقلال القومي (الوطني) كل تقدم سياسي واجتماعي . وينطبق هذا على اليهود اكثر منه على بقية الامم لانها تعيش على ارضها وان كانت مضطهدة . ان وجود ارض مشتركة اصلية هو شرط مسبق لاقامة علاقات افضل بين رأس المال واليد العاملة فيما بين اليهود » .

بالرغم عن هذه الهفوات والاخطاء يبقى الاطلاع على هذه النصوص مسألة في غاية الاهمية بالنسبة للقارىء العربي المتتبع ، غير انه يجب التنبيه الى ضرورة النفاذ الى الواقع المادي الكامن خلف النصوص وهو الحركة السياسية والاجتماعية التي حملت لواء قيادتها البورجوازية اليهودية تحت اسم الصهيونية . يعطينا كتاب « الفكرة الصهيونية » مسحا لايديولوجية هذه الحركة وفكرها بمختلف مدارسها وتشعباتها وتنوعاتها . على سبيل المثال نجد في نصوص كل من الحاخامين المبكرين كاليشر ويهودا القالي البدايات الاولى « لعلمنة » بعض المفاهيم الدينية التقليدية واخراجها عن معناها القديم وحقنها بمعنى جديد يتناسب مع مطامح الطبقة الوسطى الصاعدة وتطلعاتها نحو الهيمنة القيادية على الحياةاليهودية في اوروبا . لذلك نجد ان يهودا القالي يدعو اليهود (مع انه رجل دين) الى التخلص من الفكرة الدينية التقليدية القائلة بانتظار مجيء المسيح المخلص لبناء الهيكل بمعجزة من عنده ويحثهم على العمل لتخليص انفسهم بانفسهم عن طريق جهدهم الدنيوي وعملهم في هذه الحياة لتشكيل دولة لانفسهم ، كما يقترح عليهم انشاء شركة تجارية لتقوم باستعمار فلسطين . كذلك الامر بالنسبة للفكرة التقليدية القائلة بعودة اليهود الى الارض المقدسة ، وهي فكرة لم تكن تعني بالنسبة لليهودي التقي سوى الذهاب الى فلسطين للتعبد ومجاورة الاماكن المقدسة والخضوع لنظام روحي صارم في العيش وفقا للشرائع المقدسة . الا ان هذا المعنى اخذ يتبدل في عصر القوميات البورجوازية بحيث اصبح يعني الهجرة الجماعية الى فلسطين لبناء دولة قومية حديثة شبيهة في تركيبها وتنظيمها بأية دولة قائمة في اوروبا مع غض النظر كليا عن انتظار المسيح الخ ... ومن الطبيعي ان تعبر الحركات الاجتماعية الناشئة عن مفاهيمها وتطلعاتها بلغة الايديولوجية الدينية السائدة في اول الامر وقبل ان تتوصل الى صياغة « لغتها » الخاصة بها و « تصوراتها » المميزة .

من النصوص الهامة الواردة في الكتاب ، القسم الاكبر من مؤلف هرتزل المشهور «الدولة اليهودية»، وهذه هي المرة الاولى التي تتم فيها ترجمة اجزاء كبيرة منه الى اللغة العربية . وتكشف لنا قراءة نصوص الصهيونية الهرتزلية تأثر الحركة بايديولوجية الدعوة القومية الالمانية اكثر من تأثرها بأي شيء اخر بما في ذلك الدين اليهودي نفسه . لقد كان هرتزل مشغولا بالحركات القومية السياسية الالمانية اكثر بكثير مما كان منهمكا بدراسة التوراة او التمود او اي شيء اخر عن الدين اليهودي او حتى عن امكانات بعث الثقافة العبرية القديمة . ونجد هذا التأثير نابعا من تعاليم الايديولوجية القومية الالمانية القائلة بان كل من هو من « الدم » او النسل الالماني فهو تابع للامة الالمانية حيثما كان واينما كان ومهما كانت الارض التي ولد فيها او السماء التي عاش